

Rhetorical and Systematic Commitment Between Theory and Practice in Introductions (Study in the Methodologies of Criticism of Poetry Criticism in Iraq (2003-2017))

Abdul Azim Rhaif Al Sultani Jafar Mohammed Al-Sarhan
Department of Arabic Language, College of Education for Human Sciences,
University of Babylon, Iraq.
Ja_m_al@yahoo.com

ARTICLE INFO
Submission date: 18/6/2019
Acceptance date: 23/6/2019
Publication date: 11/12/2019

Abstract

This research deals with the monitoring of theoretical assumptions in books, letters and university papers, and researches published in newspapers and magazines in the field of criticism of poetry criticism in Iraq between 2003-2017. What has been said in these introductions about the monetary approach, as well as the extent of the commitment in the consideration of those introductions, or what was breached during the practice of the method.

The study deals with the methods of critique criticism of poetry in Iraq, monitoring, describing, and analysis, on two levels in the field of cash criticism: **First level:** includes what the critic criticized for breach and commitment in the theoretical premises, located in the field of **Second level:** This is what we observe from the breach and commitment, signed by the critic of the same criticism, between his words of speech, and what has been violated, and commitment in the practice of application. The research also depends on the methodology of monitoring, description, and analysis to highlight the main points of these theoretical assumptions regarding the method.

Key words: Criticism of Criticism, Criticism of Creativity, Critic of Criticism, Theoretical Perspectives, The Scientific Method .

الخرق والالتزام المنهجي، بين النظري والتطبيقي في المقدمات دراسة في منهجيات نقد نقد الشعر في العراق (2003-2017)

عبد العظيم رهيف السلطاني جعفر محمد السرحان
قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، العراق

الخلاصة:

يتناول هذا البحث رصد المقدمات النظرية في الكتب، والرسائل والاطاريح الجامعية، والأبحاث المنشورة في الصحف والمجلات، الواقعة في مجال نقد نقد الشعر في العراق بين عامي (2003-2017). وما قيل في تلك المقدمات من كلام حول المنهج النقدي، فضلاً عن بيان مدى الالتزام في ما نظرت له تلك المقدمات، أو ما تم خرقه أثناء القيام بالممارسة التطبيقية للمنهج. إذ يتكلم البحث عن منهجيات نقد نقد الشعر في العراق، رصدًا، ووصفًا، وتحليلًا، على مستويين في مجال نقد النقد هما: **المستوى الأول:** ويتضمن ما قاله ناقد النقد عن الخرق والالتزام في المقدمات النظرية، الواقعة في مجال النقد الإبداعي، أما **المستوى الثاني:** وهو ما نرصده من خرق والتزام، وقع به ناقد النقد نفسه، بين ما يقدمه من كلام نظري، وما تم خرقه، والتزامه أثناء ممارسته التطبيقية. كما يعتمد البحث منهجية الرصد، والوصف، والتحليل، لتسليط الضوء على أهم ما جاء في تلك المقدمات النظرية بما يخص المنهج.

الكلمات الدالة: نقد النقد، ناقد الإبداع، ناقد النقد، المقدمات النظرية، المنهج العلمي أو النقدي.

1. التمهيد:

على ناقد النقد أن لا يصدق كل ما يدّعيه ناقد الأدب إلا بعد الفحص والتثبت من سلامة الربط بين النظري والتطبيق [1: ص 106]، لمعرفة مدى التزام الناقد بما نظر له، ورصد محطات الخرق وعدم الالتزام بذلك التنظير أو النظري. فثمة منطلقات على ناقد النقد إدراكها وفحصها. من أهمها تلك التي حددتها (جوهانا ناتالي) والخاصة ببعض مهام ناقد النقد، والتي لخصها الدكتور حميد لحداني في أن يتبين ناقد النقد " مدى مطابقة خطوات التحليل المباشر للنصوص الأدبية مع الاقتراحات النظرية، هل هناك انحراف إلى تطبيق مناهج أخرى؟ هل هناك تقصير أو خطأ في التطبيق؟" [2: ص 19]، وما إلى ذلك.

كما أن الناقد قد " يدّعي العلمية في التحليل، غير أن الممارسة قد تتضمن كثيرًا من العمليات الحدسية التي تتحرر من كل قيود العلمية " [2: ص 19]، ولربما يحدث العكس من ذلك، فقد نجد من النقاد من يتبنى منهجًا حدسيًا أو يسجل أنه لا يخضع لأي قيد منهجي، ومع ذلك نراه في الممارسة يلجأ إلى بعض العمليات المنطقية في سياق غلبة التأملات الحدسية [2: ص 19] و [1: ص 106].

وهذا كله يأتي نتيجة أن من الخطاب النقدي المعاصر ما يعيش في جزء من مشهده "اغترابًا نظريًا وإبداعيًا شائكا وملتبسًا، بين الإضاءات القليلة المكتشفة من تراثنا النقدي العربي الغزير بالكنوز غير المكتشفة، والمستورد النظري المأخوذ من الآخر بكل تسيسه وأدلجته" [3: ص 454]، كل هذا الاغتراب أدى إلى أشكال من الإرباك والتعثر في الممارسات النقدية، وأحد أهم أشكال الإرباك والتعثر هو وقوع المقدمات النظرية لتلك الممارسات النقدية بين الخرق والالتزام في الجانب التطبيقي، وهذا ما سنسلط الضوء عليه في هذا المبحث رصدًا وتحليلًا.

2. المقدمات النظرية بين الخرق والالتزام المنهجي:

لما نتكلم عن تلك المقدمات النظرية، نجد الدكتور فرحان بدري الحربي في كتابه (الأسلوبية في النقد العربي الحديث - دراسة في تحليل الخطاب) الصادر عام 2003، يذهب مع " من يرى أن التنظير لا ينقطع عن الممارسة التطبيقية " [4: ص 64]، إذ يرصد ذلك الخرق النظري بين المقدمة التنظيرية الافتتاحية لعدنان بن ذريل في كتابه (النقد والأسلوبية)، الذي وضعه لتنظيره في " قائمة المهتمين ببيان حقيقة الإبداع الأدبي ونقده، والعاملين على تطبيق المنهجية العلمية في تحليل الأدب " [4: ص 88]. إلا أننا وبتتبع بسيط - بحسب قول الدكتور الحربي - " ندرك مدى تشتت أفكار هذا الناقد بين مدارس فكرية نقدية متنوعة [...] فهو يمثل آراء البنيويين ويأخذ بمنهج الدراسة اللغوية ويتعرض لشعرية النص ويتوجه إلى الأسلوبية في الوقت نفسه، فلا يلتزم بتطبيق منهج موحد وإقامة أحكامه " [4: ص 89]، فهذا التشتت المنهجي يعدّ خرقًا لمنهج الناقد المقترح في دراسته الأسلوبية، ولعلّ السبب في ذلك هو " جعله من الأسلوبية أداة من أدوات النقد قاصرة عن التطبيق " [4: ص 89]؛ كون علاقة الأسلوبية بالنقد الحديث هي علاقة التكميل، فلا تعمل إلا بمعية مناهج أخرى.

أما على المستوى الثاني من نقد النقد فنجد الدكتور فرحان الحربي يذكر في مقدمة كتابه أنه سيقوم بالاستقراء والرصد والتحليل [4: ص 9]، وعندما نفحص مجال التطبيق في كتابه نجد أن جهده النقدي يقتصر على الاستقراء والوصف أكثر من التحليل، والتعليل لما قام به نقاد الأسلوبية من تنظير منهجي.

كما وقف الدكتور جاسم حسين الخالدي في كتابه (الخطاب النقدي حول السيّاب) على ظاهرتي الخرق، والالتزام بالمقدمات النظرية، إذ يرصد خرق الدكتور بشري موسى صالح في كتابها (رهان

الجزئي/الكلي - قراءة أسلوبية في قصيدة المومس العمياء) فيجدها عند تطبيقها " لم تلتزم بتحليلها، وإنما جعلت القصيدة باباً لولوج شعر السيّاب بأكمله إلا أنها تعتمد القراءة الأسلوبية التي لم تقف عند حدودها المنهجية، بحسب فهمها الخاص الذي يجافي الإجراءات النقدية "[5: ص 268]، إذ تفتتح لديها القراءة على فضاء المنهجيات الأخرى من دون الالتزام بالأسلوبية التي هي منهج كتابها. فضلاً عن رصد الدكتور الخالدي لدراسة الناقد ماجد السامرائي (بدر شاكر السيّاب - التجربة ومفهوم الريادة) التي لم يستطع فيها الناقد "أن يبلور منهجاً فنياً تحليلياً قادراً على استيعاب تداعيات القصيدة السيّابية [...]، إذ ظلّ البون شاسعاً بين النظري والتطبيقي، فضلاً عن أنها انتهك صريح لآليات المنهج الفني" [5: ص 184]، إذ يلمح ناقد النقد إلى عدم التزام الناقد بما نظر إليه من منهج الدراسة وهدفها.

وفي جانب الالتزام بالنظري يرصد الدكتور الخالدي كتاب الدكتور ريتا عوض (بدر شاكر السيّاب)، الذي تبنت فيه الناقدة الرؤى الأسطورية منهجاً للكتاب. حتى جاء " الكتاب كله يتبنى هذا المنهج، بدءاً من المقدمة التي استعرضت فيها الناقدة طرائق الغربيين في التوظيف الاسطوري [...]، مروراً بالحديث عن التوظيف الاسطوري في الشعر المعاصر" [5: ص 146]. فتأتي دراسة الناقدة ملتزمة بالمنهج الاسطوري كمنهج نقدي واحد حققت من خلاله نتائج دراستها المرجوة .

ويفرد الدكتور عباس ثابت حمود في كتابه (الشعر العراقي الحديث 1945-1980 في معايير النقد الأكاديمي) مساحة كبيرة للحديث عن الخرق في المقدمات النظرية، " بين ما يدّعيه بعض النقاد من منهج في مقدمات دراساتهم، وبين ما تؤول إليه تلك الدراسات من مناهج أخرى أثناء التطبيق " [6: ص 49]. فيقوم الدكتور عباس ثابت برصد بعض الإجراءات النقدية للمؤلفين الأكاديميين ممن ادعى لنفسه منهجاً معيناً ولكنه لم يلتزم به، كالذي قام به محمد حسين الصغير في دراسته (فلسطين في الشعر النجفي المعاصر)، إذ يُقدّم لدراسته بأنها تقوم على أساس (المقارنة التاريخية)، إلا أنه ومن خلال رصده يكشف خلو الدراسة من الجانب النقدي؛ كونها دراسة عرض تاريخي للشعر النجفي الذي قيل في فلسطين، ولا فضل للمؤلف فيه إلا ذلك الجمع لهذا الشعر في كتابه [6: ص 57]. كما نقد الدكتور عباس ثابت حمود دراسة رشيد نعمان (قضية فلسطين في الشعر العراقي الحديث)، الذي قدّم لها بتتبع "التسلسل الزمني التاريخي في عرض القضية بوسائل الشعر" [6: ص 58]. لكن الدكتور عباس ثابت حمود وجد عند قراءتها بأنها دراسة " نقدية سطحية لا ترقى إلى مستوى الدراسة التحليلية المستقصية [...] كما لم يأخذ من نماذج الشعر الحر الذي واكب قضية فلسطين؛ لأنه يرى أن هذا الضرب من الشعر لا يلتزم بوزن اصطلاحي ولا قافية [...] وفي دراسته كثير ما يخلط الدراسة الفنية بالموضوعية " [6: ص 58-59]، فمثل هكذا دراسة لا تخرق مقدماتها التنظيرية فحسب، بل لا تحقق أهدافها المرجوة بسبب سطحيته، وعدم استقراءها التاريخي التام أولاً، وثانياً لعدم اهتمامها بنماذج مهمة من الشعر الذي واكب القضية الفلسطينية، كالشعر الحر، وذلك لمجرد أنها قد لا تتوافق مع ذائقة الباحث؛ كونها من الشعر الحر الذي لا يلتزم بوزن ولا قافية. وفي المورد نفسه يرصد الدكتور عباس ثابت دراسات أخرى خرقت ما نظرت إليه، كدراسة الدكتور عناد الكبيسي (الأدب في صحافة العراق)، ودراسة حسين جاسم النداي (الصحافة والأدب في العراق) [6: ص 59]، وكذلك دراسة (المرأة في الشعر العراقي الحديث)، الذي جاء بمقدماتها أن تلتزم بوجهة النظر الواقعية "، ولكن الذي وجد [...] أنها لم تفعل ذلك " [6: ص 63]، ولم تلتزم بما قدمته. فضلاً عن رصد الدكتور ثابت للخرق الذي وقع به الدكتور جلال الخياط في كتابه (الشعر العراقي الحديث - مرحلة وتطور). الذي " أكد في مقدمته أنه سيدرس الشعراء في ضوء التيارات والاتجاهات الأدبية، إلا أنه لم يفعل ذلك" [6: ص 68]. ويرصد الدكتور عباس ثابت حمود دراسات أدعت

لنفسها منهجاً بيد أنها لم تلتزم به، كدراسة (الشعر والتجديد) لمحمد عبد المنعم [6: ص 82-83]، وكذلك دراسة مالك المطليبي (في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر) [6: ص 83-84]، ودراسة مصطفى السحرتي (الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث) [6: ص 88]، إلى غيرها من الدراسات التي ذكرها بكتابه. وإلى هنا نكتفي بما ذكر من هذه الدراسات كجزء من دراسات عدّة، رصدتها الدكتور عباس ثابت حمود في كتابه [6: ص 124-125، 130، 132، 173]، قامت بخرق ما نظرت إليه من مناهج في مقدماتها النظرية أو التنظيرية.

وخرق المقدمات النظرية رصدتها الدكتور عبد القادر جبار في كتابه (أهرامات النقد) عند الدكتور علي جواد الطاهر في كتابه (وراء الأفق الأدبي) [7: ص 79]، الذي بني المدخل النظري لديه على "عنصرين الأول: معنى أو موضوع النص [...] والثاني: العلاقة التي أنتجت لغة النص وكونت فضاءه والمحاور التي تتحرك فيها الصورة الفنية داخل هذا الفضاء [...] ولكن الذي حدث في التطبيق أن الناقد قدّم المؤلف، وظروفه الاجتماعية، والسياسية على النص على الرغم من أن مقدماته النظرية، كانت تحت عنوان (النص أولاً) [...] فيتضح مما تقدم أن العملية النقدية في جانبها النظري لا تتفق مع الإطار التطبيقي، فالنص المكتوب في واد والنقد في واد آخر" [8: ص 44-45]، وهو خرق للمقدمة النظرية، وعدم الالتزام بها في التطبيق. كما يرصد الدكتور عبد القادر جبار مثلاً آخر للخرق النظري يقوم به الناقد نعيم اليافي في كتابه (أطياف الوجه الواحد). حين يُقدّم قراءة لديوان الشاعر (أنور عدي) بعنوان (إنسان على الدرب _ دراسة في الخطاب الشعري)، ومن هذا العنوان، وما قدّمه الناقد قائلاً: "سأقرأ النص قراءة مُغيرة [...] سأفرّق في نطاقه بين الأنا الشعرية والأنا الحياتية" [9: ص 285]، إذ يتبادر إلى ذهن القارئ أن المؤلف سيقوم بدراسة الخطاب الشعري، لكن الناقد في تطبيقه "بدل أن يحلّل النص يعود إلى الشاعر [...] وبهذا الموقف من الشاعر أضاع الناقد النص الشعري في كلام انشائي يشرح النص شرحاً عاطفياً، وأضاع علاقته مكتفياً بالاتفاق مع رؤية الشاعر" [8: ص 55]، كذلك رصد الدكتور عبد القادر جبار خرقاً للمقدمة النظرية التي سطرتهها الناقدة نورية صالح الرومي في دراستها (الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والالتزام)*، عن الشعر في الخليج دراسة فنية، وموضوعية، لكن الناقدة "لم تتناول أي جانب فني في القصيدة على الرغم من أن مقدمات الدراسة النظرية تؤكد النظر في الجوانب الفنية من القصيدة" [8: ص 57]. وهكذا يمضي الدكتور عبد القادر جبار برصده لأكثر من أنموذج [8: ص: 68-70، 80، 129-130، 148، 176، 188، 201-202، 258، 263-264، 282]، يقوم على ذلك الخرق للمقدمات النظرية، وعدم الالتزام بها. وفي موطن آخر نراه يشيد بالدراسات التي التزم أصحابها بالتطبيق في مقدماتهم النظرية، كدراسة محمد هادي الطرابلسي (خصائص الأسلوب في الشوقيات)، الذي قدّم لها صاحبها بأن "اتجاهه الأسلوبية ينطلق من النص ذاته" [8: ص 277]. وبالرغم من حضور المؤلف، والقارئ في الدراسة "بنسبة قليلة جداً الأمر الذي يجعل المنطلقات النظرية التي قدّمت بها موافقة لإجراءاتها [...] وإن غلبة النص بشكل مطلق على غيره [...] جعل النتيجة توافق المقدمات النظرية التي طرحها الطرابلسي والتي قال فيها إن دراسته نصية؛ لأن المؤلف والقارئ لم يحضر إلا في مواضع قليلة من الدراسة" [8: ص 279]. وهكذا كان رصد الدكتور عبد القادر جبار لظاهرتي الخرق والالتزام الخاصة بالمقدمات النظرية في كتابه رصداً، وتحليلاً، واسعاً، ومعمّفاً.

* وهي دراسة أكاديمية قدّمت إلى جامعة الكويت.

وعلى المستوى الثاني من نقد النقد نجد الدكتور أحمد رحيم الخفاجي في كتابه (التقويل النقدي المعاصر) ملتزماً إلى حد كبير بما نظر إليه في مقدمة كتابه من استعمال لأدوات الوصف، والتقييم لأغلب الدراسات التي درسها، وإن اتفقنا وأيدنا التزامه بالمقدمة النظرية، فأنا لا نتفق معه باللهجة الانطباعية الحادة التي ظهرت في تقييمه، ووصفه لبعض الدراسات [10: ص 252-255]، ووضعها في مجال التقويل على المنهج الحديث.

وعند قراءتنا لكتاب الدكتورة هيام عبد زيد عطية (الخطاب النقدي العربي المعاصر وعلاقته بمناهج النقد الغربي)، نجدها ترصد خرق النظري في بعض الدراسات العربية ذات المنهجية النفسية قائلة: "بقصورها وإحجام الاستنتاجات فيها والخلل في التنظير" [11: ص 208]، إذ تنتقد الدكتورة هيام دراسة الدكتور محمد النويهي (نفسية أبي نواس)، فهو بالوقت الذي يرى أن "شخصية أبي نواس لا يمكن أن تُدرس إلا بموجب علم النفس، وأنه - أي النويهي - جدير بهذه الدراسة، إذ لا يمكن لأحد أن يرفض جوهر ما قاله فيه، فإذا دخل إلى صميم الدراسة صار يخلط بين المفاهيم النفسية، وغير النفسية، ويعتمد على مرجعيات ثقافية متنوعة من دون الإشارة إلى مصدر بعينه" [11: ص 209-210]. فما رصدته الباحثة يقع في باب الخرق للمقدمة النظرية التي قدمها النويهي لمنهج، ودراسه، وعدم التزامه في تطبيقه. فضلاً عن رصدنا للخرق النظري في دراسة الدكتور حسين خمري (الظاهرة الشعرية العربية - الحضور والغياب)، التي قامت على دراسة الظاهرة الشعرية، وفق مبدأ الحضور والغياب الفاعلين في المنهج التفكيكي، إلا أن الدكتورة هيام وجدت الدكتور خمري ينتقل بعد كل ما قدمه من جانب نظري في دراسته "إلى بعض التطبيقات والموضوعات المنفرقة، وبذلك تكون الدراسة قد اعتمدت أكثر من منهج وليس التفكير فقط، وأنها تتناول أكثر من موضوع في الآن نفسه، [...] وإن خمري فيها قد دمج بين المناهج البنيوية وما بعد البنيوية" [11: ص 377]. ورأت الدكتورة هيام بأن هذا خرق بين لمقدمته النظرية التي أعلنها لدراسه، ومنهجه التفكيكي. إلا أننا لا نسلّم بقول الخرق هذا؛ إذ لم يُسم الدكتور حسين خمري بمنهج التفكير في مقدمته لدراسه، بل وجدناه راصداً، وواصفاً، ومحللاً.

وعدم الالتزام بالمقدمة النظرية يرصده كذلك الدكتور خليل شيرزاد علي في كتابه (الشعراء النقاد)، على دراسة الدكتور مالك المطليبي في دراسته (غريب على الخليج و أنشودة المطر - دراسة تطبيقية)، الذي أعلن "في مقدمتها الإفادة من منهج التحليل البنيوي في الأدب" [12: ص 86]، إلا أن المطليبي لم يلتزم بما قدم، و"لم يكن بمستطاعه أن يغادر ذاتيته بدرجة فائقة، تصل حد الكمال" [12: ص 87]، وبذلك فإنه يخرق ما نظر له في مقدمته باعتماد المنهج البنيوي في تطبيقه.

وأياً كان المنهج المقترح فقد لا يلتزم به الناقد، إذ رصد الدكتور صالح زامل في كتابه (مناهج النقد الأدبي - دراسة لمكونات الفكر النقدي في العراق 1980-2005) خرقاً يقع به الدكتور أحمد مطلوب في المنهج الذي ألزم نفسه به في دراسته (الشعر العربي الحديث)، والذي أسماه (دراسة موضوعية)، تبتعد عن الدراسة التاريخية التي تُعنى بحياة الشعراء، وما يتصل بها. كما تبتعد عن الدراسة النقدية التي تتخذ من مناهج النقد الأجنبية طريقاً للبحث والتأليف، إلا أن ناقد النقد يجد أن الدراسات التي قدمها كتاب الدكتور أحمد مطلوب "لا تخلو من التاريخية، ففي أغلب الدراسات قدم لحياة شعرائها [...] بمعنى أنه لم يلتزم الحد الذي وضعه، وجاءت بعض الدراسات خارج الموضوعية من جهة اهتمامها بقضايا فنية كدراسة اللغة" [13: ص 129]. كما يرصد الدكتور صالح زامل ملاحظات عدّة للخرق، وعدم الالتزام بالمقدمات، كرصده لدراسة ريكان إبراهيم (نقد الشعر في المنظور النفسي) التي فيها "ألزم الكاتب نفسه بالمنظور النفسي وشت عنه في

مواضيع كثيرة من كتابه " [13: ص141]، وهذا الخروج يُشعر بغياب المنهج أحياناً من خلال عدم الالتزام بتلك المُقدّمات النظرية أثناء التطبيق.

أما على المستوى الثاني من نقد النقد نرصد خرقاً للنظري يقوم به الدكتور أحمد شهاب في كتابه (تحليل الخطاب النقدي المُغامر)، والذي يقع ضمن كتب نقد النقد التي ندرسها. إذ يذكر في مُقدّمة كتابه بأنه يفيد " من مناهج مُتعدّدة في دراسة الكتب الأربعة الصادرة للنقاد [محمد صابر عبيد] [14: ص2]، إلا أننا، ومن خلال قراءة الكتاب نجدّه مُلتزماً في تطبيقه بالمنهج الوصفي كمنهج لنقد النقد، وصفاً، وتحليلاً للظاهرة من دون الاستعانة بمناهج مُتعدّدة كما ذكر في مُقدّمته، وبهذا يمثّل تطبيقه خرقاً لمقدّمته وما نظر فيها.

بينما يرصد الدكتور علي حسين يوسف في كتابه (النقد العربي المُعاصر_ دراسة في المنهج والإجراء) مسألتين: الأولى: الخرق، والثانية: عدم وضوح التنظير في المُقدّمة نفسها. وهذا ما يقع به كمال أبو ديب أيضاً في كتابه (الرؤى المُقنّعة) حين يعترفُ باعتماد دراسته "للشعر الجاهلي على تحليل شتراوس للأسطورة وتحليل بروب للحكاية وتحليل ياكبسون وتحليل البنيويين الفرنسيين [...]، فضلاً عن مُعطيات الماركسيّة النقديّة مُتمثلة في أفكار غولدمان والتحليل السردى [...]، ثم يعودُ في الصفحة نفسها ليؤكد أنّه غير خاضع للمنهجيّات الجاهزة " [15: ص60]، فكلامه هذا متناقض، ويمكن أن نضعه في باب عدم الوضوح في المُقدّمة النظرية؛ ألم يكن ما اعتمدّه وما قدّم القول فيه من قبيل المنهجيات الجاهزة ؟. والأمر نفسه يرصدّه الدكتور علي يوسف "عند محمد مفتاح الذي ادعى أكثر من مرة أنّه يرفض التبعية والانتقائيّة [...] ثم يعودُ ليعترف بأنّه اعتمد في رؤيته للشعرية على مجموعة نظريّات أجنبيّة، مثل التداوليّة وسيموطيقا غريماس وشعريّات ياكبسون وكوهن ومالينو وتامين" [15: ص62]. وهذا التناقض وعدم وضوح بالطرح النظري الذي يُسكّل خرقاً في داخل المُقدّمات النظرية نفسها، من شأنه أن يشتت المنهج، ويغيّبهُ، ويُشوش فهم القارئ.

وخرق المُقدّمات النظرية يُرصد على مستوى نقد النقد النظري أو التنظيري لا التطبيقي فحسب؛ ذلك أن في نقد النظري تطبيق أيضاً. وهذا ما رصده الدكتور رحيم كوكز خليل في كتابه (خطاب نقد الشعر بين الأطر النظرية والإجراءات التطبيقية_ صحيفة الأديب أنموذجاً)، حين رصد الخرق النظري لدى الدكتور علي العلاق في القسم الأول من مقاله (وعول هائجة في قفص من قش)، إذ "إنّه يرفض الاعتقاد بنزعة المنهج الواحد، ثم يقف ضد الاستعانة بمناهج عديدة في وقت واحد، لأنها لا تتجو من الوقوع في التناثر أو التفتيقية، ثم يتراجع عن رأيه فيقول : لابد أن تتعدد روافد العملية النقدية، وأن تغتني بانفتاحها المرن على ما يجاورها من ممارسات أو مناهج أخرى " [16: ص51]، وفي قوله الأخير هذا خرق واضح في الجانب النظري الذي قدّم القول فيه، مما يجعل القارئ في حيرة من أمره. وكذلك يرصد الدكتور كوكز عدم الالتزام بالنظري في مقال الدكتور عصام عسل (في قراءة النص_ قراءة أدونيس للنص الصوفي) الذي يوضح في مفتتح مقاله الأثر الغربي على تكوين أدونيس ورؤيته، إلّا أنّه لم يُقدّم أي توضيح لأثر الثقافة الغربيّة هذه في تطبيقه [16: ص141-142]، كما يقول الدكتور عصام عسل في المقال نفسه : إنّ تعميم الجانب الفكري في قراءة أدونيس أدى لإهمال الجوانب الفنيّة، ثم يعود ليبين قطيعة نص النظري مع الكتابة الشعرية، ويصفها بأنّها كتابة لا تقترب من الجانب الفكري لارتباطها بالجانب الفني أساساً [16: ص142]، فضلاً عن أن قول الدكتور عصام عسل بوصف " نص النظري أقرب إلى الأدعية الدينية، ثم يُخالف ذلك حين يشير إلى قطيعة هذا النص مع النص الديني " [16: ص143]. كما رصد الدكتور رحيم كوكز خليل ملاحظات عدّة لخرق المُقدّمات النظرية [16: ص170، 175، 224، 229]. نكتفي بما ذكر منها، وكل هذا يقع في باب خرق المُقدّمات النظرية التي يفتتح بها كتاباً أو مقالاً، وهو ما أثبتّه الدكتور كوكز في خاتمة كتابه من أن خطاب نقد الشعر في صحيفة

الأديب تتحكم في معظمه مفارقة تعكسها ثنائية واضحة بين التنظير والتطبيق فيقول: " لم نجد منهجاً صافياً بعينه، فكانت البنيوية بُنيويات، والأسلوبية أسلوبيات، والسيمائية سيميائيات، وهكذا، فكل ناقد قدّم المنهج على وفق فهمه وما استوعبه منه، أو ما وجده مناسباً لإجرائه "[16: ص318]، وفي ذلك خرق بين في الجانب النظري للمنهج النقدي عموماً.

وتصدر الدكتورّة أماني حارث لغامي في كتابها (الشعراء نقاداً _ المفهوم والتمثيلات) حكماً نقدياً على النقد العراقي الحديث بعد أن آمنت نظرياً أن النص هو " مفتاحُ الإجراء، إذ يجب إبعاد أي توجيه من خارجه [...] غير أنّ الواقع الإجرائي كثيراً ما خالف هذه المُقدّمة؛ بل يمكن القول، في النقد العراقي الحديث على الأقل، إنّ الموجهات تحكم العملية النقدية قبل الشروع بها، وهي موجهات تتداخل فيها عناصر الذات وعناصر الموضوع، والعلاقات الشخصية بعلاقات النص، والانتماء بالمنهج؛ ما يفقدها شروط الموضوعية "[17: ص159]، وقولها هذا ما هو إلا حكمٌ بينٌ لخرق المُقدّمات النظرية. إذ ترصد الدكتورّة أماني حارث الغامي الناقد الذي " يُهاجم السياقية، ويصفها بالتخلف والعجز وتجاوز الزمن النقدي لها، ويُعلي من شأن النصية ويزعم التزامه بها [في حين] تجده بعد هذا كله يستدعي السياقي الصريح حين يحتاجه، ويغفل النصي الصريح حين يفسد عليه هدفه من القراءة، بل هو في الأصل يحمل السياقي معه ولا يفارقه، وهو في منتهى ممارسته النصية "[17: ص175]، وفي هذا ما لا يخفى من خرق للمُقدّمات النظرية التي تؤمن بالنصية، ومن ثم تستدعي السياقية أثناء التطبيق، مما يُوقع تلك المُقدّمات في خرق كبير.

كما ترصد الباحثة ولاء إسماعيل في كتابها (النقدية العراقية في مجلة الأقلام) الصادرة عام 2017، ذلك الخرق في المُقدّمة النظرية، التي اقترحتها الدكتور حاتم الصكر في دراسته (حلم فراشة)[18]، فيبعد مُقدّمته النظرية " لمعالجة الخصائص الفنية النصية في قصيدة النثر، قدّم تطبيقاً لا ينسجم كثيراً مع ما قدمه من تصورات نظرية، توزعت بين البنيوية ونظرية القراءة "[19: ص134].

ومما تقدّم من رصد لخرق المُقدّمات النظرية في الكتب المطبوعة على المستوى الأول من نقدنا للنقد يتضح كثرة الإشارة للخرق في المُقدّمات النظرية، مقابل قلة وندرة الإشارة للالتزام بذلك النظري، أما على المستوى الثاني من نقد النقد نلاحظ العكس من ذلك إذ يكثر التزام ناقد النقد بما يُقدّم له من نظري ويندر خرقه له؛ كون ناقد النقد واصفاً ومُحللاً في الغالب، فضلاً عما يجب أن يكون عليه من التزام ودقة وموضوعية .

وعندما تنتقل بالحديث إلى الرسائل والأطاريح الجامعية نرصد في عام 2007، وعلى المستوى الثاني من نقد النقد رسالة الماجستير للباحث علي محمد ياسين (عزيز السيد جاسم وجهوده في نقد الشعر) إذ يحدّد الباحث فيها منهج دراسته بـ (المنهج التاريخي)، الذي يعتمد الوصف والتحليل [20: ص2]،. وحين ننقل إلى مجاله التطبيقي لا نجد سوى الوصف والتحليل أو (المنهج الوصفي والتحليلي) كمنهج مُعتمد في تطبيقه، بعيداً كل البعد عن المنهج التاريخي المتعارف عليه الذي وضعه لدراسته في المُقدّمة، ذلك المنهج الذي له رؤية خاصة، وأدوات وطريقة مُغايرة عما طبّقه الباحث، وهذا الأمر ممّا يمكن وضعه في باب عدم وضوح النظري المُخالف للجانب التطبيقي.

ونلاحظ الباحث ميثم حياوي عبد نور في رسالته للماجستير (النقد الأكاديمي في العراق _ جامعة الكوفة أنموذجاً) في عام 2010، وهو يرصد الخرق النظري الذي يقع به الدكتور مهدي البستاني في دراسته (مواقف قومية في الأدب النجفي الحديث)، التي لم يلتزم فيها صاحبها بالمُقدّمة النظرية، إذ قدّم بأنّها دراسة تاريخية تحليلية لحركة الأدب العربي في النجف إلا أن الباحث يرصد من خلال استقرائه للدراسة سطوة المنهج الاجتماعي ومجيء المنهج التاريخي بالمرتبة الثانية فيها، الأمر الذي صنّف هذه الدراسة ضمن

الدراسات التي تتبع المنهج الاجتماعي [21: ص71]، إذ يبدو الخرق واضحاً للمقدمة النظرية بين اتباع المنهج التاريخي كدراسة تاريخية، وبين تطبيق يعتمد المنهج الاجتماعي بالمرتبة الأولى في الدراسة نفسها. ويُطالعنا على المستوى الثاني من نقد النقد أطروحة للدكتوراه عام 2017، للباحث صالح مجيد علي الخزرجي الموسومة بـ (المنهج في الخطاب النقدي العربي المعاصر - تجربة رحمن غرکاناً نموذجاً)، التي يخرق فيها الباحث مقدمته النظرية التي قال فيها باتباع الوصف والتحليل للنص المنقود - أي النص النقدي للناقد الدكتور رحمن غرکان - بالدرجة الأولى، مع الإشارة إن أمكن إلى النص الإبداعي، إلا أننا وجدنا الباحث يتجاوز النص المنقود بالذهاب لتحليل النص الإبداعي فيحلل، وينقد النص الإبداعي بدلاً من النص المنقود [22: ص166]، وفي أحيان أخرى يترك النص المنقود ليهتم بمؤلفه ويبيّن مرجعيّاته التراثية ومكوناته العقلية [22: 233]، وفي ذلك خرق واضح للمقدمة النظرية؛ إذ المؤلف ليس من اهتمامات نقد النقد بالدرجة الأولى.

وواضح مما تقدّم رصده، قلة الإشارة إلى خرق المقدمات النظرية في الرسائل والأطاريح على المستوى الأول من نقد النقد والمستوى الثاني بصورة خاصة؛ كون أغلب تلك الدراسات الجامعية خاضعة للسلطة الأكاديمية الصارمة التي تتابع وترصد وترفض ذلك الخرق النظري أثناء التطبيق. وعند قراءتنا للأبحاث التي نُشرت في نقد النقد نجد الإشارة لخرق المقدمات النظرية تتأخر قليلاً عما رُصد في الكتب المطبوعة والرسائل الجامعية، حتى يطالعنا بحث الدكتورة نادية هناوي سعدون (الوظائفية النقدية بين المنهجية واللامنهجية) الذي نشرته الباحثة في مجلة القادسية عام 2012، الذي رصدت فيه الخرق للمقدمة النظرية في كتاب الدكتور عبد العزيز عتيق (في النقد الأدبي)، بين ما يقدم به دراسته لمناهج النقد من أنها " تكفل للناقد صحة الحكم على الأعمال الأدبية وتقديرها تقديرًا كاملاً" [23: ص276]، وبين ما يظهره من استنتاج في تطبيقه من أن " تلك المناهج مقيّدة للناقد بأصولها وحدودها، مضعفة لشخصيته في النقد وأن لها ضرراً على النقد" [24: ص82]؛ لأنها " تقسده وتخنقه وتقضي على روحه " [23: ص308]، ومما لا يخفى حجم الخرق والتناقض بين ما نظر للمنهج وما قيل فيه عند التطبيق، وهذا مما يُوقع الناقد في باب الخرق النظري المقدم. كما ترصد الدكتورة نادية هناوي ذلك الخرق عندما أخذ الدكتور عبد العزيز عتيق في نهاية كتابه يناقش المستويات الدلالية من مستوى صوتي، وصرفي، وتركيب، ونحوي، ومعجمي، إلا أنها تجده يتطرق لـ " تجارب نقدية لا مساس لها من قريب أو بعيد بالدلالة ومستوياتها واتجاهاتها فبعضها بنيوي وبعضها أسلوبية وبعضها الآخر فنية شكلانية" [24: ص84]، وفي هذا خرق للنظري في موطن التطبيق.

وترصد الدكتورة نادية هناوي أيضاً، في بحثها (المنهج وتحديات الرؤية في نقد النقد - الدكتور عبد السلام المسديّ أنموذجاً)، خرقاً للمقدمات النظرية الذي وقع به الدكتور المسديّ في كتابه (أبو القاسم الشابي في ميزان النقد الحديث). إذ تقول الدكتورة نادية: "إنّ الكشف عن التجربة الشعرية [لشابي] قد استدعى من الناقد الرجوع إلى مذكرات الشاعر ليجد فيها ضالته في التفاصيل، المعيشة، الدراسة، البيئة، لكن ألا يخالف ذلك المنهج النقدي الذي استهله المسديّ في نقد الشابي، ألا وهو المنهج الأسلوبية والمدرسة الشعرية!!" [25: ص20]، ففي تساؤل الدكتورة نادية هناوي إجابة عن خرق المقدمات النظرية، التي تبدو واضحة ما بين اجترار منهج نقدي أسلوبية وما بين دراسة للشاعر، وبيئته، ومعيشته بحجة التوصل لمواطن الشعرية في شعره، و " إحساس الناقد أنه قد خالف خطّه المنهجي جعله يدرك أنّ لا منهج مُحدد بعينه يمكن أن يحمل آفاق الرؤية النقدية بكل أبعادها، فكل خط منهجي له نقیصة، أو ثغرة، ومهما كان الناقد من الحصانة والنقّة والحدافة، فإنه لا بد أن يواجه هذه الثغرة فلا يستطيع سدّها إلا بالانكفاء على منهج آخر قريب، أو شبيهه بأدواته

وطروحاته من المنهج الذي هو بصده [25: ص20]، وما إحساس المسدي هذا وتبريره إلا دليل على ما قام به من خرق في مُقَدِّمته النظرية أثناء التطبيق.

وفي مجال نقد النقد النظري وعلى المستوى الثاني من نقدنا للنقد، نرصد خرقاً للمُقَدِّمات النظرية يقوم به الباحث الدكتور علي عباس مراد في بحثه (حل الاشكالية المنهجية في العلوم الإنسانية)، حين يُنظر للمنهج البنيوي على أنه منهج مجرد من البعدين الفلسفي والايديولوجي ومتجاوز لهما، وهو المنهج العلمي المناسب للبحث في العلوم الإنسانية [26: ص10-11]، وهو الحل لإشكالية المنهجية المتعددة، ثم يعود ليخرق ويناقض ما قدّمه قائلًا كما قال روجيه غارودي: "إنَّ كارل ماركس هو من وضع أساس هذه البنيوية المطبقة في العلوم الإنسانية عندما كتب في أطروحته السادسة عن فيورباخ: إن الفرد هو جملة علاقاته الاجتماعية" [27: ص31]، وفي هذا خرق للمُقَدِّمة النظرية عن المنهج البنيوي؛ فهل الرؤية الماركسية إلا ايديولوجيا خاصة، فكيف يكون المنهج البنيوي مجردًا وكيف يؤسس على رؤى ماركسية؟!.

ونرى مما رُصد ندرة الإشارة لخرق المُقَدِّمات في الأبحاث المنشورة أكثر مما هو عليه في الرسائل والأطاريح؛ وذلك أن أغلب الأبحاث ذات طابع تطبيقي، يُشكّل ممارسة نقدية سواء على نص إيداعي أو نص تنظيري أو نظري، وفي مثل هذه الأبحاث تندر إن لم نقل تغيب المُقَدِّمات النظرية، فضلًا عما تتخذ هذه الأبحاث من طابع تطبيقي مباشر ضيق ومكتف، لا يسمح لها بمراجعة المُقَدِّمات - إن وجدت - ورصد التطبيقات معًا؛ لأن ذلك يحتاج مساحة أكبر للرصد والتحليل لا تتوفر في مثل هذه الأبحاث والدراسات النقدية. فضلًا عما تم رصده من إشارات واضحة لخرق المُقَدِّمات النظرية في الكتب المطبوعة، وقلة خرق المُقَدِّمات النظرية في الرسائل والأطاريح لأسباب تتعلق بجانب الرصانة الأكاديمية والصرامة المنهجية.

3. الخاتمة :

من هذا كله يتضح كثرة الإشارة للخرق في المُقَدِّمات النظرية في الكتب المطبوعة، مقابل قلة الإشارة إلى ظاهرة التزام النقد بتلك المُقَدِّمات، وهذا الحديث في المستوى الأول من نقد النقد - كما بيّنا ذلك -، أما على المستوى الثاني نجد كثرة التزام نقد النقد بذلك النظري في مُقَدِّماتهم؛ وهذا يعود إلى المنهجية الصارمة التي يفرضها مجال نقد النقد.

كما نلاحظ قلة الإشارة لخرق المُقَدِّمات في الرسائل والأطاريح الجامعية، وذلك يعود إلى أن أغلب تلك الأبحاث الأكاديمية خاضعة للسلطة الجامعية الصارمة، التي تحتم على الباحث تتبع السير وفق منظور معرفي، وترفض قضايا الخرق المنهجي.

أما الأبحاث والدراسات التي نُشرت في المجلات، فقد لاحظنا فيها -أيضًا- ندرة الإشارة لملاحظات الخرق المنهجي في المقدمات النظرية، بصورة أكبر مما هي عليه في الرسائل والأطاريح؛ وذلك يعود إلى الطبيعة التطبيقية لتلك الأبحاث، فضلًا عن مساحتها البحثية الضيقة، وهو ما يستدعي الاختصار، والتكثيف، والدخول المباشر بالجانب التطبيقي، وصعوبة الرجوع لتلك المُقَدِّمات -إن وجدت-، والنظر فيها خرقًا وإلتزامًا؛ لأن هذا الصنيع يحتاج إلى مساحة أكبر لا توفرها المساحة البيضاء المحددة لتلك البحوث.

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

4. المصادر

1. د. عبد العظيم السلطاني، "مقاربات في تنظير نقد النقد الأدبي"، دمشق/ سوريا، تموز/ ديموزي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2018 .
2. د. حميد لحداني، "سحر الموضوع - عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر"، فاس، مطبعة أنفو- برانت، ط2، 2014 .
3. د. فائق عبد الجبار جواد، "إشكالية المنهج النصي - قراءة في مشغل الناقد محمد صابر عبيد"، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، ع10، مج13، كانون الأول، 2006.
4. فرحان بدري الحربي، "الأسلوبية في النقد العربي الحديث - دراسة في تحليل الخطاب"، بيروت/ الحمراء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2003 .
5. د. جاسم حسين سلطان الخالدي، "الخطاب النقدي حول السياب"، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2007 .
6. د. عباس ثابت حمود، "الشعر العراقي الحديث 1945-1980 في معايير النقد الأكاديمي العربي"، بغداد، سلسلة دراسات، دار الشؤون الثقافية، ط1، 2010.
7. د. علي جواد الطاهر، "وراء الأفق الأدبي"، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 1978.
8. د. عبد القادر جبار، "أهرامات النقد - المؤلف والنص والقارئ في القراءة العربية الحديثة والمعاصرة للشعر"، بغداد، فضولي للطباعة والنشر، 2011.
9. د. نعيم اليافي، "أطياف الوجه الواحد"، دمشق/ سوريا، اتحاد الكتاب العرب، 1994.
10. د. أحمد رحيم كريم الخفاجي، "التقويل النقدي المعاصر للتراث النقدي والبلاغي عند العرب"، بيروت/ لبنان، دار ومكتبة البصائر، ط1، 2011.
11. د. هيام عبد زيد عطية، "الخطاب النقدي العربي المعاصر وعلاقته بمناهج النقد الغربي"، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، 2012 .
12. خليل شيرزاد علي، "الشعراء النقاد - تطور الرؤيا في الخطاب النقدي العراقي الحديث (الشعراء الستينيون انموذجاً)"، بغداد - العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 2013 .
13. د. صالح زامل، "مناهج النقد الأدبي - دراسة لمكونات الفكر النقدي في العراق 1980 - 2005"، بيروت - لبنان، منشورات ظفاف، ط1، 2014 .
14. د. أحمد شهاب، "تحليل الخطاب النقدي المغامر - في المغامرة الجمالية للنص الأدبي (دراسة في نقد النقد)"، أربد - الاردن، عالم الكتب الحديث، ط1، 2015 .
15. د. علي حسين يوسف، "النقد العرب المعاصر - دراسة في المنهج والإجراء"، عمان/ شارع الملك حسين، دار المنهجية للنشر والتوزيع، ط1، 2016 .
16. د. رحيم كوكز خليل، "خطاب نقد الشعر - بين الاطر النظرية والإجراءات التطبيقية - صحيفة الأديب انموذجاً"، بغداد - السعدون، مكتبة دجلة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2016 .

17. د. أمانى حارث الغانمي، "الشعراء نقادًا - المفهوم والتمثيلات"، البصرة/ العراق، دار شهريار، ط1، 2017.
18. د. حاتم الصكر، "حلم الفراشة - بحث في الخصائص النصية لقصيدة النثر"، مجلة الأقلام، ع3-4، 1992.
19. ولاء إسماعيل، "النقدية العراقية في مجلة الأقلام"، بيروت - لبنان، دار الرافدين، ط1، 2017 .
20. علي محمد ياسين، "عزيز السيد جاسم وجهوده في نقد الشعر"، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، 2007.
21. ميثم حياوي عبد نور، "النقد الأكاديمي في العراق - جامعة الكوفة انموذجًا"، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية، 2010 .
22. صالح مجيد علي الخزرجي، "المنهج في الخطاب النقدي المعاصر-تجربة رحمن غركان اختيارًا (2003-2016)"، اطروحة دكتوراه، جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الإنسانية، 2017 .
23. د. عبد العزيز عتيق، " في النقد الأدبي"، بيروت - لبنان، دار النهضة العربية، ط1، تاريخ وصول الباحثين الى المصدر سنة 2019.
24. د. نادية هناوي سعدون، "الوظائف النقدية بين المنهجية واللامنهجية - مقارنة في نقد النقد"، (مجلة القادسية) في الآداب والعلوم التربوية، مج11، ع2، 2012.
25. أ. د. نادية هناوي سعدون. " المنهج وتحديات الرؤية في نقد النقد-الدكتور عبد السلام المسدي انموذجًا"، موقع الناقد العراقي، 2017/8/12 (أنترنت).
26. أ. م. د. علي عباس مراد، "حل الاشكالية المنهجية في العلوم الانسانية - المنهج البنيوي انموذجًا مقترحًا"، جامعة بغداد- كلية العلوم السياسية، تاريخ وصول الباحثين الى المصدر سنة 2019 .
27. روجيه غارودي، " البنيوية - فلسفة موت الإنسان"، بيروت - لبنان، دار الطليعة، ط1، 1979.